الحلقة 17

سيدنا موسى عليه السلام.. كليم الله «3-1»

أرسله الله تعالى إلى فرعون وقومه، وأيده بمعجزتين، إحداهما هي العصا التي تلقف الثعابين، أما الأخرى فكانت يده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دعا موسى إلى وحدانية الله فحاربه فرعون وجمع له السحرة ليكيدوا له ولكنه هزمهم بإذن الله تعالى، ثم أمره الله أن يخرج من مصر مع من اتبعه، فطارده فرعون بجيش عظيم، ووقت أن ظن أتباعه أنهم مدركون أمره الله أن يضرب البحر بعصاه لتكون نجاته وليكون هلاك فرعون الذي جعله الله عبرة للآخرين.

سيرته

أثناء حياة يوسف علي السلام بمصر، تحولت مصر إلى التوحيد. توحيد الله سبحانه، وهي الرسالة التي كان يحملها جميع الرسل إلى أقواهم.

لكن بعد وفاته، عاد أهل مصر إلى ضلالهم وشركهم. أما أبناء يعقوب، أو أبناء إسرائيل، فقد اختلطوا بالمجتمع المصري، فضلّ منهم من ضل، وبقي على التوحيد من بقي. وتكاثر أبناء إسرائيل وتزايد عددهم، واشتغلوا في العديد من الحرف.

ثم حكم مصر ملك جبار كان المصريون يعبدونه، ورأى هذا الملك بني إسرائيل يتكاثرون ويزيدون ويملكون. وسمعهم يتحدثون عن نبوءة تقول إن واحدا من أبناء إسرائيل سيسقط فرعون مصر عن عرشه. فأصدر الفرعون أمره ألا يلد أحد من بني إسرائيل، أي أن يقتل أي وليد ذكر.

وبدأ تطبيق النظام، ثم قال مستشارون فرعون له، إن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، وهذا سينتهي إلى إفناء بني إسرائيل، فستضعف مصر لقلة الأيدي العاملة بها. والأفضل أن تنظم العملية بأن يذبحون الذكور في عام ويتركونهم في العام الذي يليه.

ووجد الفرعون أن هذا الحل أسلم، وحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يقتل فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، فلما جاء العام الذي يقتل فيه الغلمان ولد موسى. حمل ميلاده خوفا عظيما لأمه.

خافت عليه من القتل، راحت ترضعه في السر، ثم جاءت عليها ليلة مباركة أوحى الله إليها فيها للأم بصنع صندوق صغير لموسى، ثم إرضاعه ووضعه في الصندوق. وإلقاءه في النهر.

كان قلب الأم، وهو أرحم القلوب في الدنيا، يمتلئ بالألم وهي ترمي ابنها في النيل، لكنها كانت تعلم أن الله أرحم بموسى منها، والله هو ربه ورب النيل، لم يكد الصندوق يلمس مياه النيل حتى أصدر الخالق أمره إلى الأمواج أن تكون هادئة حانية وهي تحمل هذا الرضيع الذي سيكون نبيا فيما بعد، ومثلما أصدر الله تعالى أمره للنار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم، كذلك أصدر أمره للنيل أن يحمل موسى بهدوء ورفق حتى يسلمه إلى قصر فرعون، وحملت مياه النيل هذا الصندوق العزيز إلى قصر فرعون. وهناك أسلمه الموج للشاطئ.

رفض موسى للمراضع

وفي ذلك الصباح خرجت زوجة فرعون تتمشى في حديقة القصر، وكانت زوجة فرعون تختلف كثيرا عنه. فقد كان هو كافرا وكانت هي مؤمنة. كان هو قاسيا وكانت هي رحيمة، كان جبارا وكانت رقيقة وطيبة، وأيضا كانت حزينة، فلم تكن تلد، وكانت تتمنى أن يكون عندها ولد.

وعندما ذهبت الجواري ليملأن الجرار من النهر، وجدن الصندوق، فحملنه كما هو إلى زوجة فرعون، فأمرتهن أن يفتحنه ففتحنه. فرأت موسى بداخله فأحست بحبه في قلبها، فلقد ألقى الله في قلبها محبته فحملته من الصندوق، فاستيقظ موسى وبدأ يبكي. كان جائعا يحتاج إلى رضعة الصباح فبكى.

فجاءت زوجة فرعون إليه، وهي تحمل بين بيدها طفلا رضيعا، فسأل من أين جاء هذا الرضيع؟ فحدثوه بأمر الصندوق. فقال بقلب لا يعرف الرحمة: لابد أنه أحد أطفال بني إسرائيل. أليس المفروض أن يقتل أطفال هذه السنة؟

فذكّرت آسيا –امرأة فرعون– زوجها بعدم قدرتهم على وطلبت منه أن يسمح لها بتربيته. سمح لها بذلك، عاد موسى للبكاء من الجوع، فأمرت بإحضار المراضع. فحضرت مرضعة من القصر وأخذت موسى لترضعه فرفض أن يرضع منها، فحضرت مرضعة ثانية وثالثة وعاشرة وموسى يبكي ولا يريد أن يرضع. فاحتارت زوجة فرعون ولم تكن تعرف ماذا تفعل.

لم تكن زوجة فرعون هي وحدها الحزينة الباكية بسبب رفع موسى لجميع المراضع. فلقد كانت أم موسى هي الأخرى حزينة باكية. لم تكد ترمي موسى في النيل حتى أحست أنها ترمي قلبها في النيل. غاب الصندوق في مياه النيل واختفت أخباره.

وجاء الصباح على أم موسى فإذا قلبها فارغ يذوب حزنا على ابنها، وكادت تذهب إلى قصر فرعون لتبلغهم نبأ ابنها وليكن ما يكون. لولا أن الله تعالى ربط على قلبها وملأ بالسلام نفسها فهدأت واستكانت وتركت أمر ابنها لله. كل ما في الأمر أنها قالت لأخته: اذهبي بهدوء إلى المدينة وحاولي أن تعرفي ماذا حدث لموسى.

وذهبت أخت موسى بهدوء ورفق إلى جوار قصر فرعون، فإذا بها تسمع القصة الكاملة، رأت موسى من بعيد وسمعت بكاءه، ورأتهم حائرين لا يعرفون كيف يرضعونه، سمعت أنه يرفض كل المراضع. وقالت أخت موسى لحرس فرعون: هل أدلكم على أهل بيت يرضعونه ويكفلونه ويهتمون بأمره ويخدمونه؟

ففرحت زوجة فرعون كثيرا لهذا الأمر، وطلبت منها أن تحضر المرضعة، وعادت أخت موسى وأحضرت أمه، وأرضعته أمه فرضع، وتهللت زوجة فرعون وقالت: «خذيه حتى تنتهي فترة رضاعته وأعيديه إلينا بعدها، وسنعطيك أجرا عظيما على تربيتك له». = وهكذا رد الله تعالى موسى لأمه كي تقر عينها ويهدأ قلبها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق وأن كلماته سبحانه تنفذ رغم أي شيء. ورغم كل شيء.

نشأة موسى في بيت فرعون

أتمت أم موسى رضاعته وأسلمته لبيت فرعون، كان موضع حب الجميع. كان لا يراه أحد إلا أحبه، وها هو ذا في أعظم قصور الدنيا يتربى بحفظ الله وعنايته، بدأت تربية موسى في بيت فرعون، وكان هذا البيت يضم أعظم المربين والمدرسين في ذلك الوقت.

كانت مصر أيامها أعظم دولة في الأرض. وكان فرعون أقوى ملك في الأرض، ومن الطبيعي أن يضم قصره أعظم المدربين والمثقفين والمربين في الأرض، وهكذا شاءت حكمة الله تعالى أن يتربى موسى أعظم تربية وأن يتعهده أعظم المدرسين، وأن يتم هذا كله في بيت عدوه الذي سيصطدم به فيما بعد تنفيذا لمشيئة الخالق.

وكبر موسى في بيت فرعون، كان موسى يعلم أنه ليس ابنا لفرعون، إنما هو واحد من بني إسرائيل. وكان يرى كيف يضطهد رجال فرعون وأتباعه بني إسرائيل.. وكبر موسى وبلغ أشده، (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا) وراح يتمشى فيها.

فوجد رجلا من اتباع فرعون وهو يقتتل مع رجل من بني إسرائيل، واستغاث به الرجل الضعيف فتدخل موسى وأزاح بيده الرجل الظالم فقتله، كان موسى قويا جدا، ولم يكن يقصد قتل الظالم، إنما أراد إزاحته فقط، لكن ضربته هذه قتلته، ففوجئ موسى به وقد مات وقال لنفسه: (هَـذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ). ودعا موسى ربه: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي). وغفر الله تعالى له، (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). أصبح موسى (فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ). كان هذا حال موسى، حال إنسان مطارد، فهو خائف، يتوقع الشر في كل خطوة، وهو مترقب، يلتفت لأوهى الحركات وأخفاها. ووعد موسى بأن لا يكون ظهيرا للمجرمين. لن يتدخل في المشاجرات بين المجرمين والمشاغبين ليدافع عن أحد من قومه.

وفوجئ موسى أثناء سيره بنفس الرجل الذي أنقذه بالأمس وهو يناديه ويستصرخه اليوم، كان الرجل مشتبكا في عراك مع أحد المصريين، وأدرك موسى بأن هذا الإسرائيلي مشاغب، أدرك أنه من هواة المشاجرات. وصرخ موسى في الإسرائيلي يعنفه قائلا: (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ). قال موسى كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصري. واعتقد الإسرائيلي أن موسى سيبطش به هو، دفعه الخوف من موسى إلى استرحامه صارخا، وذكّره بالمصري الذي قتله بالأمس. فتوقف موسى، سكت عنه الغضب وتذكر ما فعله بالأمس، وكيف استغفر وتاب ووعد ألا يكون نصيرا للمجرمين. استدار موسى عائدا ومضى وهو يستغفر ربه.

وأدرك المصري الذي كان يتشاجر مع الإسرائيلي أن موسى هو قاتل المصري الذي عثروا على جثته أمس، ولم يكن أحد من المصررين يعلم من القاتل. فنشر هذا المصري الخبر في أرجاء المدينة، وانكشف سر موسى وظهر أمره، وجاء رجل مصري مؤمن من أقصى المدينة مسرعا. ونصح موسى بالخروج من مصر، لأن المصريين ينوون قتله.= لم يذكر القرآن الكريم اسم الرجل الذي جاء يحذر موسى، ونرجح أنه كان رجلا مصريا من ذوي الأهمية، فقد اطلع على مؤامرة تحاك لموسى من مستويات عليا، ولو كان شخصية عادية لما عرف، يعرف الرجل أن موسى لم يكن يستحق القتل على ذنبه بالأمس، لقد قتل الرجل خطأ. فيجب أن تكون عقوبته السجن على أقصى تقدير. لكن رؤساء القوم وعليتهم، الذين يبدوا أنهم كانوا يكرهون موسى لأنه من بني إسرائيل، ولأنه نجى من العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر، وجدوا هذه الفرصة مناسبة للتخلص من موسى، فهو قاتل المصري، لذا فهو يستحق القتل.

خرج موسى من مصر على الفور، خائفا يتلفت ويتسمع ويترقب. في قلبه دعاء لله (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، وكان القوم ظالمين حقًا. ألا يريدون تطبيق عقوبة القتل العمد عليه، وهو لم يفعل شيئا أكثر من أنه مد يده وأزاح رجلا فقتله خطأ؟

خرج موسى من مصر على عجل، لم يذهب إلى قصر فرعون ولم يغير ملابسه ولم يأخذ طعاما للطريق ولم يعد للسفر عدته، لم يكن معه دابة تحمله على ظهرها وتوصله، ولم يكن في قافلة، إنما خرج بمجرد أن جاءه الرجل المؤمن وحذره من فرعون ونصحه أن يخرج، اختار طريقا غير مطروق وسلكه، دخل في الصحراء مباشرة واتجه إلى حيث قدرت له العناية الإلهية أن يتجه. لم يكن موسى يسير قاصدا مكانا معينا. هذه أول مرة يخرج فيها ويعبر الصحراء وحده.

يحيونها في ليالي شهر رمضان المبارك

فيروس «كورونا» يحرم الخليجيين من «الغبقة»

واحدة من أهم الطقوس الرمضانية الخليجية الموروثة التي يتشوق لإحيائها الخليجيون، منعهم من إحيائها هذا العام فيروس كورونا المستجد؛ وهي «الغبقة»، التي تعدّ طقساً اجتماعياً مميزا.

والغبقة تُعرف عند أهل الخليج بأنها عشاء رمضاني متأخر يسبق السحور، وعادة هي اسم لوليمة تؤكل عند منتصف الليل.

وكلمة «الغبقة» عربية صحيحة جاءت من الغبوق، وهو حليب الناقة الذي يُشرب ليلاً، وعكسه الصبوح الذي يُشرب من حليب الناقة صباحاً.

يدأب على إحياء الغبقة الجميع هنا في بلدان الخليج، وتتوارث إدامتها الأجيال؛ لما تحمله من مزايا غارقة في طبيعة شعوب الخليج، متمثلة بالكرم والاجتماع والسمر وسماع النصائح والشعر وغيرها مما يثري الجلسات التي تجمع الأحباب.

والغبقة تقام في بيت أو مجلس أو خيمة أو عند البحر، واهتم الخليجيون بإقامتها منذ بداية القرن الماضي، لكن بلدان الخليج العربي تزداد التصاقاً بالعادات والموروثات كلما تقادم الزمن.

وما يزيد من أهميتها لديهم ارتباطها بشهر رمضان المبارك، الذي يحرص الخليجيون على أداء طقوسه.

ويتفق الخليجيون على أن الغاية من «الغبقة» أسمى من الاجتماع على تناول الطعام؛ بل تذهب إلى معان وقيم إنسانية سامية يحث عليها الدين الإسلامي.

ومن هذه القيم التراحم والتوادّ والتكاتف ونشر السلام والتعارف وزيادة الألفة، وغيرها كثير من المبادئ والقيم التي تبني الإنسان والمجتمع البناء القويم.

ففي السابق، وبحسب ما وثّقته بلدان الخليج في بحوث حول العادات المتوارثة، كانت الغبقات تقام في الحي الواحد.

في هذه الغبقات يجتمع أهالي الحي في بيت أحدهم أو خيمته، فيأكل الرجال وبعدهم النساء، ويتبادل الرجال الحديث.

وأيضاً يستمعون لمواعظ رجال الدين وكبار القوم من المسنين والوجهاء، وتزيد تلك الموائد من الألفة والمحبة والسلام، ويتعارف الناس فيما بينهم.

الغبقات، مع مرور الزمن ومع ما شهدته دول الخليج من نهضة شاملة في مختلف مجالات الحياة، ومواكبتها كل أشكال التطور العلمي والإنساني، زاد بريقها وأهميتها، وباتت وجبة مهمة ينتظرها البعض بشغف كبير لإحيائها في رمضان.

ورغم أن الغبقات في البيوت والديوانيات والخيم وعند البحر ما تزال مرغوبةً بشكل كبير، لكن الغبقات في الفنادق والمنتجعات السياحية والمطاعم نالت اهتماماً كبيراً من قبل كثيرين، خاصةً رجال الأعمال.

ففي غبقات الفنادق والأماكن السياحية يحاول البعض إتمام صفقاتهم أو التعرُّف على شخصيات تصب العلاقات معها في مصلحة أعمالهم. وهناك من يدعون المقيمين والزوار من جنسيات أخرى لحضور «الغبقة» في الأماكن السياحية؛ للتعريف بمعناها وأهميتها كموروث شعبي.

وهم بذلك يسهمون في التسويق السياحي والثقافي والتعريف بعادات الخليجيين وتراثهم، وهو أحد عوامل الجذب السياحي.

الغبقة اليوم لم تعد مقتصرة على الأطباق الخليجية الشعبية الشهيرة، كالثريد والهريس، والبرنيوش أو (المحمّر)، وهو الأرز المطبوخ بالسكر أو الدبس، أو «المجبوس» و«المشخول».

وسكان السواحل ما عادوا يلتزمون بتقديم طعام الغبقة المكون من أكلة السمك؛ بل أُضيفت أصناف مختلفة إليها، ودخلت الأكلات الغربية في لائحة وجباتها.

ويُعتبر شاطئ البحر وجهة الشباب المفضلة لدعوة أصدقائهم إلى الغبقة، التي يفضلون أن تكون المشويات الوجبة الرئيسة فيها. وفي الغالب تبقى الأطباق الرئيسة الشعبية أساس المائدة، وتضاف إليها أطباق من الأكلات الشرقية أو الغربية أو الآسيوية. وتعتبر الحلويات بأنواع مختلفة حاضرة للتحلية بعد الغبقة.

وفي حين كانت الحلويات في السابق تقتصر على الحلويات الخليجية الشعبية؛ مثل الساقو واللقيمات والنشاء والعصيدة والبلاليط، بالإضافة إلى التمر والشاي والقهوة، تحضر اليوم أنواع من الحلويات العربية والغربية في الغبقة.

لكن فيروس كورونا الذي انتشر في مختلف بلدان العالم، وبينها بلدان الخليج العربي، تسبب بإلغاء طقس الغبقة.

ليس الغبقة وحدها هي التي ألغيت بسبب كورونا، بل مختلف العادات والطقوس الرمضانية التي تتطلب حضوراً جماعياً مثل الصلاة في المساجد، وبينها التراويح التي تقام في شهر رمضان.

فتاوى

هل يجوز دفع الزكاة لمتضرري كورونا؟

أجازت دار الإفتاء تعجيل إخراج الزكاة لسد احتياج الفقراء في ظل انتشار كورونا، عملا بالمصلحة التي تستوجب التعجيل كما ورد في السنة النبوية المطهرة.

وأضافت أن تعجيل دفع الزكاة إلى هؤلاء الفقراء المُعطلين الذين تراكم عليهم الفقر هو أفضل من تأخيرها إلى نهاية شهر رمضان.

وحث علماء المسلمين الموسرين والمقتدرين ماليا، على تقديم موعد زكاة أموالهم، مؤكدين على أنه لا داعي للانتظار حتى نهاية رمضان.